الباب الثالث والعشرون

في مواقف النساء

من مواقف الشرف:

لقد كانت المرأة العربية في العصر الجاهلي مثال الزوجة الصالحة ، تحفظ شرف الرجل، وتحافظ على ماله، وتعينه على أمور الحياة، وامتازت المرأة العربية عن غيرها بحرصها الشديد على أن يكون البيت مريحاً للنفس، مطمئناً للقلوب،لا تسمع زوجها من الكلام ما يكره سماعه ولا تدع عينه ترى ما يستكره.

ومن هنا كان الرجال يقدرونها يعززونها، وقد كانت لهن مواقف عظيمة مشهورة، ومن ذلك فكرة إحداهن لإطفاء نار الحرب التي ظلت مستعرة نحواً من أربعين سنة بين قبيلتي عبس وذبيان، ولم يفكر في إطفائها إلا بما كان لها من المكانة العالية وحسن الرأي، وجمال الأحدوثة.

حصافة امرأة:

روي أن بهيسة بنت أوس بن حارثة بن لام الطائية، كانت إحدى ربَّات الحصافة والبلاغة، والعقل والرأي السديد، والفضل في العصر الجاهلي، فسمع الحارث بن عوف سيد العرب بها وبجمالها وحصافتها، فذهب الحارث مع غلامه، وخطبها من أبيها أوس بن حارثة، فأنعم عليه وأصلحت أمها من شأنها، وضربت قبة فنزل بها الحارث بن عوف.

فلما هيئت بهيسة وأدخلت على الحارث بن عوف، فلم يلبث إلا هنيهة، ثم خرج فقال له غلامه : أفرغت من شأنك؟. قال الحارث بن عوف: لا والله لما مددت يدي إليها، قالت: مه، أعند أبي وأمي وإخوتي، هذا والله ما لا يكون.

فأمر الحارث بن عوف بالرحلة، فرحلا بها، وسار ما شاء الله، وقال الحارث لغلامه : تقدم، فتقدم الغلام، وأرادها الحارث بن عوف، فقالت له: أكما يفعل بالأمة الجليبة أو السبية الأخيذة، لا والله حتى تأتي قومك وتنحرالجزور وتذبح الغنم، وتدعو العرب، وتعمل مثل ما يعمل لمثلي.

فلما لحق الحارث بن عوف بالغلام، سأله الغلام: أفرغت من شأنك؟ فقال الحارث : لا والله وأخبره بما قالت بهيسة، فقال الغلام: والله إني لأرى همة وعقلاً، وأرجو أن تكون المرأة منجبة.

ثم رحلا حتى وصلا البلاد، فأحضر الحارث بن عوف الإبل والغنم، ثم دخل عليها وخرج مسرعاً إلى غلامه، فقال له الغلام: ما أسرعك مخرجاً أفرغت من شأنك؟.

قال الحارث بن عوف: لا فقد قالت لي: لقد ذكرت لي من الشرف ما لا أراه فيك؟ فقلت لها : فماذا يكون؟ وماذا أفعل يا ابنة أوس؟.

قالت: أخرج إلى هؤلاء القوم، فأصلح بينهم، ثم ارجع إلى أهلك فلن يفوتك شيء مما ترجوه، فخرج الحارث بن عوف المري وغلامه، وهرم بن سنان، وأتوا القوم المتحاربين، ومشوا فيما بينهم بالصلح ، فاصطلحوا ودفعوا الديات ثم رجع الحارث بن عوف فدخل بها فرزق منها البنين والبنات، وتوجت زوجها بتاج الشرف والفخار، وخلّدت ذكره على مر الدهور والأعوام، وأثبتت أنها من ذوات العقل والفضل والفخار.

فأين نحن اليوم من ذلك الموقف العظيم؟ امرأة تقف ذلك الموقف في عصر كثر فيه الظلم ، وكان الناس على شفا حفرة من النار، ومع ذلك استطاعت بحسن رأيها وموقفها الحازم الصائب، أن تكون سبباً في حقن الدماء بين قبيلتين من قبائل العرب،هما قبيلتا عبس وذبيان، فللّه درّ ذلك المنبت النبيل، وذلك الشرف العظيم.

أليست نساء اليوم لها أصول إلى ذلك الشرف،وقد تهيأت لهن الأسباب للارتقاء بما أنعم الله به عليهن من نعمة الإيمان، ووسائل العلم، وباب جهادهن باب واسع في تربية أولادهن وبناتهن، وأن يتخلّقن بأخلاق الإسلام من الصدق والأمانة ، والإخلاص في العمل والمحافظة على أداء الفرائض في أوقاتها ، بإخلاص لا يشوبه رياء ولا سمعة. وأن يشغلن بما فيه رضاء الله سبحانه وتعالى، وأن يحافظن على الأمانة أمانة الشرف وأمانة الأولاد، في غرس المحبة والاحترام والتخلق بأخلاق الصالحين بعد القدوة الحسنة برسول الله ﷺ.